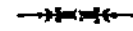


كتاب مستقبل الثقافة في مصر

الثقافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصرى بك



عند ما نبحث عن الأسباب التي تدعو إلى استمرار بعض البلاد القريبة على فرض تعليم اللاتينية ولو في بعض الفروع من الدراسة الثانوية ، يجب علينا ألا نسو عن تذكر هذا العهد الذي كانت تسيطر فيه اللاتينية على حياة العلم والتعليم في جميع مرافقها سيطرة تامة ...

كان من الطبيعي ألا تستمر هذه السيطرة المطلقة على طول الزمن ، كما كان من الطبيعي أيضاً ألا تزول هذه السيطرة المطلقة دون أن تترك أثراً عميقاً ...

صحيح كأصبح ما يكون الجسد السليم ، وأن آفته كلها قلة الغذاء قلة الغذاء ؟ كيف يكون هذا وهو يأكل ويشبع ولا يجوع ؟ وأصر الرجل على طعامه ، وخاف الناظر على تلاميذه أن يفوتهم من الحصص بمقدار ما يترى الأستاذ من نوبات الإغماء .. فأذن له ، بل أمره أن يأكل من طعام الغداء بقدر ثمنه ، وفيه على الأقل ضمان وجبة نائمة في النهار ..



كان القديس أوغسطين يقول إذا تكلم عن جسده : أخى الحمار . لأنه في حكمه حيوان كسائر فضائل الحيوان — أما الجسد عنده هؤلاء الذين يطمعون وهم يسقمونه ، ويسمونه وهم يحسبون أنهم يسمونه ، ويتفقون المال ولا يعرفون كيف يأكلون ، ويشبعون وخير لهم لو يجوعون ، فهو الأحق بأن يقول وهو يتكلم عن صاحبه : أخى الحمار ... فهما في الواقع حماران اثنان في جسم إنسان

ولمثل هؤلاء تشرع مطاعم الجهلاء ، من الفقراء والأغنياء

هباسي محمد العقاد

كان من الطبيعي أن ترتفع أصوات الاعتراض والاحتجاج على هذه السيطرة ، مع بزوغ عصر النهضة ؛ وكان من الطبيعي أن تقوى الأصوات المطالبة بتخفيف وطأة هذا « النير اللاتيني » — حسب نسب « لا بروير » الشهير — ؛ وكان من الطبيعي أن تصل هذه الأصوات — أخيراً — إلى درجة الدعوة إلى الثورة ضد اللاتينية للتخلص من سلطانها المطلقة ...

إن الخروج على سلطة اللغة اللاتينية بدأ أولاً على شكل « انقلاب ديني » عند ما طالب لوثير بترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية ، ودعا إلى إقامة الصلوات باللغات التي يتكلم بها الناس . ثم جاء دور الانقلابات الأدبية ، فخرجت الآداب — في الممالك الأوربية المختلفة — على سلطة اللغة اللاتينية المطلقة عندما تهذبت وتقدمت اللغات العامية ، وأنتجت من الآثار الهامة ما رفعها إلى مصاف اللغات الأدبية

وأخيراً جاء دور تخلص « العلم والتعليم » من سيطرة اللاتينية ، فأخذت هذه اللغة تفقد سلطانها المطلقة في هذا الميدان أيضاً شيئاً فشيئاً .

إن الانقلاب الأخير لم يتم إلا بتدرج غريب ، وببطء عظيم ؛ فشال اللغة الفرنسية لم تتمكن من دخول المدارس إلا باجتياز مراحل عديدة تتلخص فيما يلي : أولاً إفساح المجال للتكلم بها في أوقات الفرس . ثانياً : تسويغ استعمالها لفهم العقائد الدينية للصغار . ثالثاً : تخصيص ساعات لتعليمها كدرس خاص . رابعاً : تحميلها مهمة تعليم بعض الموضوعات الدراسية . وأخيراً زيادة هذه الموضوعات بصورة تدريجية .

كما أن « التاريخ » أيضاً لم يدخل المدارس إلا بحتاراً مراحل عديدة : أولاً على شكل « التاريخ المقدس » مرتبطاً بدروس الدين . ثانياً على شكل « تاريخ اليونان » و « تاريخ الرومان » مرتبطاً بدروس اللاتينية واليونانية .

إنني لا أرى داعياً لاستعراض جميع التطورات التي طرأت على المناهج الأساسية في المدارس المذكورة ، حتى أواسط القرن التاسع عشر . غير أنني أود أن أخلصها بكلمة مختصرة ، وهي : إفساح المجال للعلوم المختلفة شيئاً فشيئاً ، بجانب اللاتينية واليونانية ، دون إخراج هاتين اللغتين من نطاق الدروس الإجبارية .

قرارات عملية جديدة ، تحت ضغط هذه المناقشات ، من حين إلى حين
إن النزاع حول هذه المسألة صار أشد عنفاً وأعنف أثراً
في فرنسا مما كان في البلاد الأخرى ... ولهذا السبب ، أرى من
الموافق أن نلقي نظرة عامة على الآراء التي استند إليها المعارضون
والمدافعون ، في المملكة المذكورة بوجه خاص :

يقول أنصار اللغات القديمة : إن في تعليم هذه اللغات فوائد
عظيمة - مباشرة وغير مباشرة ، قريبة وبعيدة ، عملية ونظرية ،
تعليمية وتنقيفية - لا تضاهيها الفوائد التي يمكن الحصول عليها
من تعليم أية لغة من اللغات الحية ، وأي فرع من فروع
الدراسة الأخرى ...

وأما أنواع هذه الفوائد ، فتتلخص في الأمور التالية :

(أ) إن اللاتينية أم اللغة الفرنسية ومصدر مفرداتها ؛
فاتقان اللغة الفرنسية إتقاناً يضمن الأخذ بنصايتها ، لا يمكن
أن يتم بدون معرفة اللغة اللاتينية ...

(ب) إن الآداب الفرنسية تأثرت بالآداب اللاتينية
واليونانية تأثراً كبيراً . فمعرفة الآداب الفرنسية معرفة عميقة
يتوقف على درس الآداب اللاتينية واليونانية دراسة كافية

(ج) إن خزائن الأدب اللاتيني واليوناني مملوءة بالآثار
الخالدة التي تصوراً تسمى نزعات الإنسان بأجل الأساليب ؛ فالاطلاع
على هذه الآثار الخالدة من الأمور الضرورية لتكوين الثقافة السامية
(د) إن الحقوق الفرنسية مؤسسة على الحقوق الرومانية ،
والتصديق في هذه الحقوق يتطلب معرفة مصادرها ، وفهم هذه
المصادر يتوقف على معرفة اللاتينية

(هـ) لقد أصبحت اللاتينية واليونانية مصدر الاصطلاحات
العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بالتاريخ الطبيعي والطب والكيمياء
وأنواع المخترعات الحديثة ، ومعرفة معاني هذه الاصطلاحات
العلمية - وصوغ أمثالها عند الحاجة - مما يتطلب معرفة

(هـ)

هاتين اللتين
هاتين اللتين

(و) إن تعليم اليونانية واللاتينية من أحسن وأجمع
الوسائل التنقيفية ؛ فإن هذا التعليم يلعب دوراً هاماً في تكوين
العقل وتقويمه وتمييزه على التفكير الصحيح المستقيم

كان بعض المفكرين والمربين يدعون إلى إحداث انقلاب
أساسي في مناهج التعليم من حين إلى حين . كانوا يظهرون
ارتياحهم في فوائد تعليم اللغات القديمة ، حتى أنهم كانوا يصلون
بانتقاداتهم هذه إلى درجة القول بضررها ؛ غير أن هذه الآراء
قلما كانت تجد آذاناً صاغية ، فلم تستطع أن توجد تيارات فكرية
قوية تؤثر على الحالة الراهنة

مع هذا اشتدت الحملات على اللاتينية في أواخر القرن
الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وأخذت الانتقادات تتغلغل
في محافل المفكرين ، من جراء انتشار روح الثورة واشتداد نزعة
الإصلاح والتجديد من جهة ، ومن جراء تقدم العلوم وتعمق
الحياة الاجتماعية من جهة أخرى

فازداد تساؤل المفكرين والمربين يوماً عن يوم : هل من
ضرورة تدعو إلى الاستمرار على تعليم اللغات القديمة في المدارس
الثانوية ؟ ألم يكن هذا التعليم من آثار النظم البالية التي توارثتها
المدارس المذكورة من عهد القرون الوسطى ؟ ما الفائدة من تعليم
هذه اللغات بعد أن لم يبق على وجه الأرض من يتكلم بها ؟
وإذا قيل إنها لا تخلو من فوائد ، فهل تعادل هذه الفوائد
المجهود العظيمة والأوقات الثمينة التي تصرف وتبذل في هذا
السبيل ؟ ألا يمكن الوصول إلى الفوائد المذكورة من طرق
أخرى بوسائل أقل عمقاً من تعليم اللغات الميتة ؟

إن هذه الأسئلة فتحت ميداناً فسيحاً للأبحاث والمناقشات
التريبوية . وهذه الأبحاث والمناقشات ، تناولت مسألة « التعليم
الثانوي » من وجوهها المديدة ، حتى أنها أثار مسألة
« التدريس التنقيفي » من أسسها العميقة ...

انشطروا المفكرين والمربين حيال مسألة اللغتين اللاتينية
واليونانية إلى معسكرين متخاصمين : معسكر الذين يقولون
بوجوب المحافظة على هاتين اللغتين القديمتين في المدارس الثانوية ،
ومعسكر الذين يعتقدون بوجوب تخليص المدارس المذكورة منهما
بدأت المناقشات بين المعارضين والمدافعين منذ قرن تقريباً ؛
وهي تشتد أحياناً وتفتت أحياناً ؛ وتضطر الحكومات إلى اتخاذ

خاصاً ، فاكنتسب كياناً مستقلاً . فدرس هذا الأدب وإتقانه لا يتطلبان الرجوع إلى منابعه بوجه من الوجوه .

ومن أوضح البراهين على ذلك هذه الحقائق الواقعة : « إننا نعرف عدداً لا يحصى من المستعربين الذين درسوا اللاتينية واليونانية ، ومع هذا لم يصحبوا من الكتاب المجيد في الفرنسية . ومقابل ذلك نعرف عدداً غير قليل من الأدباء الذين أحرزوا مكانة عظيمة في تاريخ الأدب الفرنسي ، مع أنهم لم يتعلموا اللاتينية ، ولم يتقنوا بأدائها ... »

(إن لاروشفوكو، وورنياك، وآلكساندر دوماس، وجورج سان ... من جملة الأدباء الذين يذكرون في هذا الصدد ...)

(ج) إن الآثار الخالدة المكتوبة باليونانية واللاتينية قد ترجمها إلى الفرنسية كبار الأفلام، فيمكن الاطلاع عليها من تلك الترجمات الجيدة ، دون إضاعة الأوقات والجهود ، في تعلم اللغات التي كتبت بها

هذا . وما يجب ألا يعزب عن البال أن معرفة اللاتينية واليونانية التي يمكن الحصول عليها خلال الحياة المدرسية لا تستطيع أن ترفع الطالب إلى درجة تمكنه من تذوق مضامين تلك الآثار الفكرية والأدبية ومزاياها — في لغاتها الأصلية — ولذلك نستطيع أن نقول : إن درس الآثار المذكورة في ترجماتها الجيدة أكثر ضماناً لتذوق مزاياها تذوقاً حقيقياً ...

وزد على ذلك أن اللغات الحية الراقية أيضاً أوجدت آثاراً خالدة لا تقل أهمية وسحراً عن الآثار التي يشير إليها دعاة اللاتينية واليونانية ، إن لم نقل بأنها تفوقها في هذا المضمار ، على الأقل من وجهة قريبها إلى حياتنا المعاصرة ... فلا يحسن بالثقافة الإنسانية العالية أن تبقى تحت سلطان اللاتينية واليونانية القديمة ؛ بل الأجدر بها أن تستفيد من الآثار الخالدة التي أنتجتها اللغات الحية في المصور الحديثة ...

إن تعلم اللغات الحية — عوضاً عن اللاتينية واليونانية القديمة — يأتي بفوائد عظيمة ، من هذه الناحية أيضاً

(د) لا ينكر أن الحقوق الفرنسية مستمدة من الحقوق الرومانية ، والحقوق الرومانية مدونة باللغة اللاتينية . غير أن النصوص اللاتينية المتعلقة بالحقوق والقوانين — قد ترجمت

ولا يوجد موضوع دراسي يضاهي هذا التعليم من وجهة هذا العمل التحقيقي . ولذلك يجب أن نعتبر تعليم اللاتينية واليونانية بمثابة حجر الزاوية في صرح التحصيل

إن جميع العظماء الذين نعرفهم ونفتخر بهم — من أساطين الأدب إلى جهابذة الفقه والمسلم — قد تنفقوا بهذه الثقافة واستفادوا منها فلا يجوز لنا أن نهملها ... ويجب أن نعلم حق العلم أن إهمال هذه الثقافة التي أثبتت جدارتها بالثمرات السنية التي آتتها للأمة الفرنسية يكون بمثابة تبريض مستقبل هذه الأمة إلى خطر عظيم ، خطر انحطاط الثقافة العامة التي تفتخر بها ؛ وخطر اندراس جيل أعظم الأدباء والعلماء الذين نعتجب بهم

هكذا كان يقول أنصار اللاتينية واليونانية وأما معارضو هؤلاء فيقولون : إن اللاتينية واليونانية من اللغات الميتة التي ترجع إلى العهود البائدة ؛ وإن الحضارات والثقافات التي تتمثل في هاتين اللغتين أصبحت مدفونة في أغوار التاريخ ولو كانت سامية وباهرة إبان حياتها . فليس من العقول أن نصرف — في هذا العصر الذي نميش فيه — كل هذه الأوقات ، ونستنفد كل هذه الجهود في سبيل تعلم وتعليم مثل هذه اللغات البائدة ...

وأما الفوائد الآتفة الذكر فيفتقدها المعارضون واحدة فواحدة كما يلي :

(أ) لا شك في أن اللاتينية هي أم الفرنسية ومصدرها الأصلي ؛ غير أن ذلك لا يدل على أن إتقان الفرنسية يتطلب معرفة اللاتينية . فالفرنسية اليوم ، أصبحت لغة مستقلة عن اللاتينية استقلالاً تاماً ؛ فيجب أن تدرس درساً مباشراً ، حسب معانيها وقواعدها وأساليبها الخاصة بها ، بقطع النظر عن مصادرها الأصلية وتطوراتها التاريخية . وأما درس تلك المصادر ، وتتبع تلك التطورات ، فما يجب أن يختص به العلماء الذين يودون أن يتبحروا في قعر اللغة ويتمققوا في تاريخها ؛ ولم يكن من الأمور التي يجب أن تعتبر من أسس دراسة الفرنسية دراسة طامة ، حتى ولا من أسس دراستها دراسة أدبية .

(ب) إن الأدب الفرنسي أدب قائم بنفسه، وإن كان قد نشأ في أحضان الأدب اللاتيني وتأثر بالأدب اليوناني . إنه اتخذ أسلوباً

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ١٠ -

— — —

سنواجه الأدب الأندلسي في مقال اليوم ، وهو الأدب الذي اتهمه الأستاذ أحمد أمين بالمعجز عن تذوق الطبيعة ، والإحساس بالوجود .

ولكن لا بد من من كلمة قصيرة نبين بها بعض الخصائص التي امتاز بها الأدب العربي ليعرف أحمد أمين ومن لف لفه من المتحذلقين كيف تفرّد ذلك الأدب بالصيغة العالية بين سائر الآداب .

أسيرُ الآداب في العصر الحاضر هو الأدب الفرنسي والآداب الإنجليزية والآداب الألمانية ، ولكن هذه الآداب على عظمتها لا تزال محصورة في المبقرية المحلية . ومعنى ذلك أن أقطاب الأدب الإنجليزي إنجليز ، وأقطاب الأدب الفرنسي فرنسيين ، وأقطاب الأدب الألماني ألمان .

والأدب الإنجليزي حين ازدهر في أمريكا لم يكن أقطابه هناك من السكان القدماء لبلاد الأمريكان ، وإنما كان أقطابه من السلالات الإنجليزية التي احتلت تلك البلاد .

والفرنسيون لا يعترفون لأهل سويسرا وبلجيكا بالتفوق في الأدب الفرنسي ، ويقولون إن أدبهم لا هو لحم ولا هو سمك ، على حد تعبيرهم الطريف Ni chair, ni poisson مع استثناء أفراد قلائل رفعتهم المبقرية إلى التفوق في لغة هوجو وببسيه ولامرتين .

أما الأدب العربي فكان حظه من أغرب المخطوط ، لأنه تغلغل في كثير من البساتين الشرقية والغربية ، وانتفع بمبقرات كثيرة في مختلف الأمم والشعوب ، فكان فيه أقطاب بين ناس لم تكن لهم قبل الإسلام صلة بجمد اللغة العربية من ناحية الجنس أو الدين .

بأجمها إلى اللغة الفرنسية على يد أقدر العلماء والتخصصين . فاستبح في استطاعة كل فرنسي أن يدرس الحقوق الرومانية دون أن يتعلم اللاتينية

هذا ، ويجب ألا يعزب عن البال أن الحقوق والقوانين المصرية لم تبق تحت سيطرة الحقوق الرومانية ، وإن كانت قد استمدت — فيما مضى — أصولها منها . فأهمية الحقوق الرومانية في الثقافة الحقوقية آخذة في التضاؤل يوماً عن يوم ، وسائرة نحو مطاوى التاريخ بخطوات سريعة

ولهذا كله لا مجال لتبرير تعليم اللاتينية — بصورة منطقية — بحجة ضرورة ذلك لفهم الحقوق الرومانية

(هـ) وأما مسألة الاصطلاحات العلمية الحديثة فإنها ليست من الأهمية بدرجة تستلزم صرف الجهود الشاقة لتعلم اللاتينية واليونانية ، فإن مصادر هذه الاصطلاحات وأصولها محدودة ، فليس من الصعب تعليمها مباشرة — مع ذكر وجوه اشتقاقها — دون التعمق في أغوار اللغتين القديمتين المذكورتين

فضلاً عن أن المعاني الاصطلاحية قلما تنطبق على المعاني اللغوية ؛ فمعرفة المعاني الأصلية قلما تساعد على فهم المعاني الاصطلاحية . ويمكننا أن نقول : إن عدم ضرورة التقيد بالمعاني الأصلية في الكلمات والتعابير المستخرجة من اللغات الميتة ، كان من أهم العوامل التي سهلت وضع هذه الاصطلاحات الحديثة ، ونشرها بين جميع الأمم العصرية (وذلك بجانب العامل الآخر ، وهو ملازمة عواطف الأمم التي لا تقبل عادة الاصطلاحات التي تستمد عناصرها من لغات الأمم المعاصرة لها) . ولا نقالي إذا قلنا : إن هذه الاصطلاحات إنما أدخلت على اليونانية واللاتينية إدخالاً ، فلو أنها عرضت على أبناء اللاتينية أو آباء اليونانية في حياتهم ، لما فهموا منها شيئاً ، أو فهموا منها أشياء أخرى

وعلى كل حال نستطيع أن نقول : إن معرفة المعاني الأصلية ليست ضرورية لفهم المعاني الاصطلاحية ، كما أنها ليست مفيدة لها في أكثر الأحيان

فحاشا لتبرير تعليم اللاتينية واليونانية بحجة ضرورة هاتين اللغتين لفهم الاصطلاحات العلمية الحديثة ، مما لا يتفق مع العقل والمنطق بوجه من الوجوه

(يتبع) أبو ظريرة